

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بَرَىءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ نَفْيَ الرُّبُوبِيَّةِ عَنِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ مِنْ كَوْكَبٍ وَقَمَرٍ، جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي نَفْسِ السِّيَاقِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ رُؤْيَيْهِ لِلشَّمْسِ بَازِغَةً، فَأَشَارَ إِلَيْهَا مَجَارَاةً لِقَوْمِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ؛ لِأَنَّهَا أَنْوَرُ مِنَ الْقَمَرِ وَأَضْوَأُ وَأَكْبَرُ جَرَمًا وَأَعَمُّ نَفْعًا، وَمِنْهَا يَسْتَمِدُّ الْقَمَرُ نُورَهُ (1).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الشَّمْسُ﴾: يُقَالُ لِلْقَرَصَةِ، وَلِلضَّوِّ الْمُنْتَشِرِ عَنْهَا، وَتَجْمَعُ عَلَى شَمُوسٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: 38]، وَيَدُلُّ أَصْلُهَا عَلَى تَلَوُّنٍ وَقَلَّةِ اسْتِقْرَارٍ، فَالشَّمْسُ مَعْرُوفَةٌ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، وَيُقَالُ: شَمْسٌ فَلَانٌ شِمَاسًا؛ إِذَا نَدَّ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ، تَشْبِيهًا لَهُ بِالشَّمْسِ فِي عَدَمِ اسْتِقْرَارِهَا (2).

(2) ﴿بَرَىءٌ﴾: أَصْلُ (بَرَأَ) يَدُلُّ عَلَى التَّبَاعُدِ مِنَ الشَّيْءِ وَمُزِيلَتِهِ، وَيُقَالُ: بَرَىءَ الرَّجُلُ مِنَ الْأَمْرِ، يَبْرَأُ بَرَاءَةً؛ إِذَا تَخَلَّصَ، وَتَنَزَّهَ، وَتَبَاعَدَ عَنْهُ، وَالْبَرَىءُ: الْمُتَنَحِّي عَنِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ، الْبَعِيدُ عَنِ التُّهْمِ، النَّقِيُّ الْقَلْبِ مِنَ الشَّرِكِ (3).

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ رَأَى الشَّمْسَ

(1) أبو حَتَّانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: 4/566، وَالْبَقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 7/161.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ، وَالرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (شَمْس).

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ، وَالرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (بَرَى).

طالعة؛ قال لقومه: هذا الطَّالُعُ ربِّي - مجاراةً لقومه على سبيل التَّنَزُّلِ معهم - هذا أكبرُ مِنَ الكوكبِ والقَمَرِ، فلَمَّا غابت؛ قال لقومه: إِنِّي بريءٌ ممَّا تُشركون من عبادة الأوثانِ، والنُّجُومِ والأصنامِ التي تُشركونها مع الله في العبادة⁽¹⁾.

إبطالُ رُبوبيَّةِ
الشَّمْسِ بأفولِها
وغيوبِها

❖ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلدغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا﴾:

التَّعْقِيبُ بالفاءِ، يدلُّ على القُربِ في بُدُو الكوكبِ، ثُمَّ بزَوَجِ القمرِ، وأنَّه كان آخرَ اللَّيْلِ ليعقبَهُما طُلُوعُ الشَّمْسِ⁽²⁾، ويمكن أن يكون تعقيباً عُرفياً، مثل: تزَوَّجَ، فَوَلَدَ له؛ إشارةً إلى أنَّه لم تمضِ أَيَّامٌ وليالٍ بين ذلك⁽³⁾.

التَّعْقِيبُ المُفِيدُ
لقربِ الحدثِ

دلالةُ تكرارِ أسلوبِ ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ في المناظرة:

اختارَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بهذا الأسلوبِ؛ لأنَّه أرادَ أن يُقيمَ الاستدلالَ على أساسِ المُشاهدةِ مع هذه النِّيَّراتِ على ما هو المعتادُ في التَّعاملِ معها، ولأنَّ المُشاهدةَ مِنْ أقوى الأدلَّةِ في إثباتِ القضيَّةِ التي أثارها إبراهيمُ ؑ في هذه المُحاوِرةِ.

المُشاهدةُ مِنْ
أقوى الأدلَّةِ في
إثباتِ القضيَّةِ

نُكْتَةُ تذكيرِ اسمِ الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿هَذَا رَبِّي﴾:

قوله: ﴿هَذَا﴾ مُذَكَّرًا مع وصفِ الشَّمْسِ بالمؤنَّثِ ﴿بَارِئَةً﴾، إشارةٌ لوجودِ المسوِّغِ، وهو تذكيرُ الخبرِ؛ لأنَّه اعتبرها رَبًّا، فَرُوعِيَ في الإشارةِ معنى الخبرِ، فَكَانَ قال: هذا الجِرمُ الَّذي تدعوَنه الشَّمْسُ تبينَ أنَّه هو ربِّي⁽⁴⁾، إظهارًا لتعظيمها إبعادًا عن التَّهمةِ، وتنبهًا من

مراعاةُ الإشارةِ
في معنى الخبرِ

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 185، ونُخبة من العلماء، التفسير المُبسَّر، ص: 137، وجماعة من علماء التفسير، للختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 137.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/321.

(3) الخفاجي، حاشية الشَّهاب على البيضاوي: 4/86.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/322.

أَوَّلُ الأَمْرِ عَلَى أَنَّ الْمُؤْتَى لَا يَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ⁽¹⁾، فَذَكَرَ اسْمَ الإِشَارَةِ تَذْكِيراً لِلخَبَرِ وَصِيَانَةً لِلرَّبِّ عَنْ شُبْهَةِ التَّائِيثِ⁽²⁾.

وَذَكَرَ الْمَفْسَّرُونَ لِهَذَا التَّذْكِيرِ تَأْوِيلَاتٍ أُخْرَى، وَهِيَ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ رَأَى ضَوْءَ الشَّمْسِ، لَا عَيْنَهَا، **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ أَرَادَ: هَذَا الطَّالِعُ رَبِّي، **وَالثَّالِث:** أَنَّ الشَّمْسَ بِمَعْنَى: الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى، **وَالرَّابِع:** أَنَّ الشَّمْسَ لَيْسَ فِي لَفْظِهَا عَلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ التَّائِيثِ، وَإِنَّمَا يَشْبَهُ لَفْظُهَا الْمَذْكَرَ، فَجَازَ تَذْكِيرُهَا⁽³⁾.

دَلَالَةُ تَكَرُّارِ جُمْلَةٍ «قَالَ هَذَا رَبِّي»:

تمييزُ المشارِ إليه
بتغيينه على
وجهِ الخصوصِ

اسْمُ الإِشَارَةِ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «قَالَ هَذَا رَبِّي» لِقَصْدِ تَمْيِيزِ الشَّمْسِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَلَكِنْ إِجْرَاؤُهُ عَلَى نَظِيرِيهِ فِي قَوْلِهِ حِينَ رَأَى الْقَمَرَ، وَحِينَ رَأَى الشَّمْسَ: (هَذَا رَبِّي - هَذَا رَبِّي) يُعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ الْأَصْلِيُّ مِنْهُ هُوَ الْكِنَايَةُ بِالْإِشَارَةِ عَنْ كَوْنِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَمْرًا مَطْلُوبًا مَبْحُوثًا عَنْهُ، فَإِذَا عُثِرَ عَلَيْهِ؛ أُشِيرَ إِلَيْهِ⁽⁴⁾.

عِلَّةُ فَضْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «هَذَا أَكْبَرُ» عَمَّا قَبْلَهُ:

جملةُ (هذا أكبر)
تعليلُ لجملة
(هذا ربي)

جُمْلَةُ «هَذَا أَكْبَرُ» جَارِيَةٌ مَجْرَى الْعِلَّةِ لَجُمْلَةِ «هَذَا رَبِّي»، وَفِيهَا تَأْكِيدٌ لِمَا رَامَهُ مِنْ إِظْهَارِ النَّصْفَةِ لِلْقَوْمِ، وَمَجَارَاتِهِمْ فِي مَزَاعِمِهِمْ؛ تَمْهِيدًا لِدَحْضِهَا بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، كَمَا أَنَّ فِيهَا إِشَارَةً خَفِيَّةً إِلَى فُسَادِ دِينِهِمْ بَبَيَانِ أَنَّ الْأَكْبَرَ أَحَقُّ بِالرُّبُوبِيَّةِ مِنَ الْأَصْغَرِ⁽⁵⁾. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ «هَذَا أَكْبَرُ» تَقْتَضِي نَقْضَ رَبُوبِيَّةِ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ، وَحَصَرَ الرُّبُوبِيَّةَ فِي الشَّمْسِ وَنَفَيْهَا عَنِ الْكُوكَبِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/161.

(2) البضاوي، أنوار التنزيل: 2/169.

(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/48، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/46، والبقاعي، نظم الدرر:

7/161.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/318 - 321.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/154.

والقمر⁽¹⁾، علَّل ذلك بيانًا للوجه الذي فارق فيه ما مضى، فقال:
﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾⁽²⁾، ولهذا فُصِّلَتِ الجملتان.

بلادةٌ إيجاز الحذف في جملة: ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾:

حذفُ المُفَضَّل عليه لظهوره، أي (هو أكبر منهما)، يعني: أَنَّ الأكبر الأكثر إضاءةً أولى باستحقاق الإلهية⁽³⁾، ففيه إشارةٌ خفيةٌ إلى فساد دينهم من جهةٍ أخرى ببيان أَنَّ الأكبر أحقُّ بالرُّبوبيَّةِ مِنَ الأصغر⁽⁴⁾.

سرُّ تكرار اسم الإشارة في قوله: ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾:

كَرَّرَ اسمَ الإشارة لتمييز الشَّمْسِ أكملَ تمييزٍ، وذلك من خلال الإشارة إليها، وما يحمله ذلك من معنى القُربِ المشعرِ بتفخيم الشَّمْسِ وتعظيمها.

سرُّ التعبير بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ مع الشَّمْسِ دون غيرها:

عبَّرَ بأفعل التفضيل **﴿أَكْبَرُ﴾** مع الشَّمْسِ؛ لأنها أكبرُ جرمًا ممَّا سبق - مِنَ الكوكب والقمر - فهي أنورُ مِنَ القمر وأضوأ، ومنها يستمدُّ القمرُ نُورَه.

من ناحيةٍ أخرى، عبَّرَ هنا بأَكْبَر دونَ أعظم؛ لمناسبةٍ ما تقدَّم، وهو الكوكبُ والقمرُ؛ والشَّمْسُ أكبرُ منهما كمًّا وكيفًا، فكانَ اختيارُ الوصفِ بالأكبر هو المناسبُ للحجم عن هذه النِّيرات، وفيه إشارةٌ إلى مخاطبة عقول قومه بالانتقالِ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الكَبِيرِ، ثُمَّ الأكبر، وفي هذا تعليمٌ للدُّعاة في كيفية مخاطبة المدعوِّين.

نكتة الاحتجاج بالأفول في المقامات الثلاثة:

في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾**: لَمَّا كَانَ الْأَفُولُ حَاصِلًا فِي الشَّمْسِ،

الإشارة إلى
فساد اعتقادهم
بخضوعهم
لمعبوداتٍ
متفاوتةٍ في
الصَّغَر والكِبَر

تمييزُ الشَّمْسِ
أكملَ تمييزٍ،
وتفخيمُ شأنها

الشَّمْسُ
أكبرُ الأجرامِ
السَّماويَّةِ في
مجموعتها

مخاطبةٌ عقولِ
قومه بالانتقالِ
مِن الصَّغِيرِ إِلَى
الكَبِيرِ، ثُمَّ الأكبر

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 7/322.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/161.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 7/322.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/154.

التَّرْقِي مِنْ
الأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى
لِلتَّأْثِيرِ فِي التَّقْرِيرِ
وَالْبَيَانِ

والأَفْوَلُ يَمْنَعُ من صِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وإذا ثَبِتَ امْتِنَاعُ صِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ
لِلشَّمْسِ؛ كان امْتِنَاعُ حَصُولِهَا لِلْقَمَرِ ولسائرِ الكواكِبِ من بابِ أَوَّلَى،
وبهذا الطَّرِيقِ يَظْهَرُ أَنَّ ذِكْرَ هذا الكلامِ في الشَّمْسِ يُغْنِي عن ذِكْرِهِ
في القَمَرِ والكواكِبِ، ولكنَّه ذَكَرَ الأَفْوَلُ في كُلِّ هذا من بابِ الأَخْذِ
مِنَ الْأَدْوَنِ فالأَدْوَنِ، مُتَرَقِّياً إِلَى الْأَعْلَى فالأَعْلَى، وهذا له تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ
في التَّقْرِيرِ والْبَيَانِ والتَّأْكِيدِ، ولا يَتَأْتَى ذلك من غيرِهِ، فكان ذِكْرُهُ
على هذا الِوَجْهِ أَوَّلَى⁽¹⁾، وفيهِ إِشَارَةٌ إِلَى المَعْنَى النَّفْسِي الَّذِي يَريدهُ
إِبْرَاهِيمُ ﷺ من تَكَرُّرِ تَرْسِيخِ صِفَةِ الضَّعْفِ في هَذِهِ المَعْبُودَاتِ عِندَ
عَابِدِيهَا؛ لِأَنَّ تَغْيِيرَهَا بِالْأَفْوَلِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مُدَبَّرَةٌ مُحَدَّثَةٌ، وما كان
بِهَذِهِ الصِّفَةِ اسْتِحْالَ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً مَعْبُوداً⁽²⁾.

دلالة التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي «أَفَلْتَ»:

الِاتِّبَاطُ فِي إِصْدَارِ
الْأَحْكَامِ مَطْلُوبٌ
وَمَرْغُوبٌ فِيهِ

دَلَّ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي «أَفَلْتَ»، الَّذِي يَفِيدُ تَحَقُّقَ الْوُقُوعِ،
عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ لَمْ يَعلَنِ تَبَرُّؤَهُ مِنْ عِبَادَةِ الشَّمْسِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ تَحَقَّقَ الْأَفْوَلُ، وَذَهَبَ نُورُهَا، وَغَابَ جِرْمُهَا، فَلَمْ يَبْقَ لَهَا وَجُودٌ
ذَاتًا وَصِفَةً؛ وَفِي هَذَا تَعْلِيمٌ لِلدُّعَاةِ أَلَّا يَتَعَجَّلُوا فِي إِصْدَارِ الْحُكْمِ.

بلاغة النَّدَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَقُومُ»:

تَنْبِيهُ الْقَوْمِ،
وَإِيقَاطُ
هَمَمِهِمْ، وَفَتْحُ
قُلُوبِهِمْ

دَلَّ النَّدَاءُ عَلَى تَنْبِيهِ الْقَوْمِ، وَإِيقَاطِ هَمَمِهِمْ، وَفَتْحِ قُلُوبِهِمْ
وَعَقُولِهِمْ لِتَلْقَى هَذَا الْإِعْلَانِ الْوَاضِحَ بِبِرَاءَتِهِ مِنْ هَذَا الشُّرْكِ الَّذِي
يَقَعُ مِنْهُمْ.

الِإِشَارَةُ إِلَى
غَفْلَتِهِمْ، وَمَا
هَمَّ فِيهِ مِنْ
اللَّهِوِ وَالْإِعْرَاضِ
عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ

وَفِي اسْتِعْمَالِ أَدَاةِ النَّدَاءِ (يَا) لِلْبَعِيدِ مَعَ قُرْبِهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى
غَفْلَتِهِمْ، وَمَا هَمَّ فِيهِ مِنَ اللَّهِوِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَبُولِ الْحَقِّ، وَفِيهِ
إِشْعَارٌ بِقُوَّةِ نِدَائِهِ ﷺ، وَعُلُوُّ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/46.

(2) الماوردي، التُّكْتُ والعَيُون: 2/137.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْقَوْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَنْقُومُ﴾:

التَّعْبِيرُ بِالْقَوْلِ دُونَ الدُّعَاءِ أَوْ النَّدَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ حُجَّتِهِ، وَعُلُوِّ صَوْتِهِ، وَأَنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِسِيَاقِ تَبَرُّئِهِ مِنْ شِرْكِهِمْ؛ بخلافِ الدُّعَاءِ أَوْ النَّدَاءِ، فَهُوَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا مَعَ قَوْمِهِ قَبْلَ إِعْلَانِ تَبَرُّئِهِ مِنْ شِرْكِهِمْ.

دلالة قُوَّةِ حُجَّةِ
إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَّهُ
الْمُنَاسِبُ لِسِيَاقِ
تَبَرُّئِهِ مِنْ شِرْكِ
قَوْمِهِ

دلالة نداء إبراهيم قومه برابطة القومية:

نادى خَلِيلُ اللَّهِ قَوْمَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَنْقُومُ﴾؛ للإِشَارَةِ إِلَى حَرْصِهِ عَلَيْهِمْ، وَلُطْفِهِ بِهِمْ، فَهُوَ مَهْتَمٌّ بِأَمْرِهِمْ، مُخْلِصٌ لَهُمْ فِي نَصِيحَتِهِ، مُحِبٌّ لَهُمْ، يَهْمُهُ مَا يَهْمُهُمْ، وَيُسَعِّدُهُ مَا يُسَعِّدُهُمْ، وَيُحْزَنُهُ مَا يُحْزَنُهُمْ.

الإِشَارَةُ إِلَى
حَرْصِهِ عَلَيْهِمْ،
وَلُطْفِهِ بِهِمْ

دلالة حذف الياءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْقُومُ﴾:

حُذِفَتِ الْيَاءُ، فَلَمْ يَقُلْ: (يا قومي)، كَمَا يَقُولُ اللُّغَوِيُّونَ؛ لِأَنَّ الْكُسْرَةَ قَبْلَهَا دَلَّتْ عَلَيْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ حَذْفَ الْيَاءِ يُشِيرُ إِلَى عَدَمِ التَّصَاقِهِ بِقَوْمِهِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَالشُّرْكَ لَا يَلْتَقِيَانِ.

الحذفُ لِتَخْفِيفِ
النُّطْقِ، وَيَشِيرُ
إِلَى عَدَمِ
التَّصَاقِهِ بِقَوْمِهِ
الْمُشْرِكِينَ

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْبَرَاءَةِ دُونَ مَا يُقَارِبُهَا فِي الْمَعْنَى:

عَبَّرَ بِالْبَرَاءَةِ دُونَ غَيْرِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ لِأَنَّهَا الْمُنَاسِبَةُ فِي هَذَا السِّيَاقِ بَعْدَ مَا قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالْمَجَارَاةِ لِقَوْمِهِ فِي شَأْنِ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ ﴿هَذَا رَبِّي﴾، فَكَانَ هَذَا التَّعْبِيرُ هُوَ الْأَوْفَقُ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَتِهِ وَتَنْزُهِهِ عَنْ مَخَالِطَتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا صِلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُشْرِكُونَ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَلِأَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشُّرْكِ تَعْنِي التَّوَجُّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

الْبَرَاءَةُ مِنَ
الشُّرْكِ تَعْنِي
التَّوَجُّهَ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى
وَالْإِخْلَاصَ فِي
عِبَادَتِهِ

دلالة التَّعْبِيرِ بِالْأَسْمِيَّةِ ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾:

عَبَّرَ بِالْأَسْمِيَّةِ دُونَ الْفِعْلِيَّةِ (أُتْبِرُ)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى هَذِهِ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشُّرْكِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ لَيْسَتْ جَدِيدَةً عَلَيْهِ، فَهِيَ مِنْ فِطْرَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا.

ثَبَاتُ إِبْرَاهِيمَ
وَاسْتِمْرَارُهُ عَلَى
الْبَرَاءَةِ مِنَ
الشُّرْكِ

دَلَالَةُ (مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

بيان البراءة
مِنَ الشَّرِكِ
والمعبودات
الباطلة؛ ما
يعقل منها وما
لا يعقل

(ما) في قوله: ﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مصدريةٌ أو موصولةٌ، والمعنى: إنِّي بريءٌ من إشراككم أو من الذي تشركونه من الأجرامِ المحدثَةِ المتغيِّرةِ من حالٍ إلى أخرى المُسَخَّرَةِ لِمُحْدِثِهَا⁽¹⁾.

والأظهرُ أنَّ (ما) في قوله: ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ موصولةٌ، وأنَّ العائدَ محذوفٌ لأجلِ الفاصلةِ، أي: بتقدير: (مَا تُشْرِكُونَ بِهِ)؛ لأنَّ الغالبَ في فعل البراءَةِ أن يَتعلَّقَ بالذَّواتِ، ولئلاَّ يَتكرَّرَ مع قوله بعده: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ويجوزُ أن تكونَ (ما) مصدريةٌ، أي: من إشراككم، أي: لا أَتَقَلَّدُهُ⁽²⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ﴿تُشْرِكُونَ﴾:

عموم براءة
إبراهيمَ من كُلِّ
أنواعِ الشَّرِكِ
في الحالِ
والاستقبالِ

عَبَّرَ بِالْمَضَارِعِ الَّذِي يَفِيدُ التَّجَدُّدَ وَالْحَدُوثَ لِيُشِيرَ إِلَى عُمُومِ بَرَاءَتِهِ مِنْ كُلِّ مَا يُشْرِكُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ فِي الْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ، وَبِالتَّأَكِيدِ مِنْ بَابِ أَوْلَى لَمَّا كَانَ مِنْهُمْ فِي الْمَاضِي؛ لِأَنَّ شَرِكَهُمْ مَوْصُولٌ بِالْحَاضِرِ.

سِرُّ تَأْخِيرِ حُكْمِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ بِالشَّرِكِ:

التَّعَجُّلُ فِي
الحُكْمِ فِيهِ تَنْفِيزٌ
وَصَدٌّ

السِّرُّ فِي تَأْخِيرِ حُكْمِهِ ﷺ بِالشَّرِكِ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ مَعَ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ؛ لِإِنْسَائِهِمْ أَوَّلًا، وَلِلتَّلَطُّفِ مَعَهُمْ؛ فَلَوْ حُكِمَ عَلَيْهِمْ بِالشَّرِكِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَنَفَرُوا مِنْ قَوْلِهِ، وَمَا صَغَوْا إِلَى اسْتِدْلَالِهِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَثَّقَ بِإِصْغَائِهِمْ إِلَى حُجَّتِهِ، تَرَقَّى فِي الْحُكْمِ، وَصَرَخَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

نُكْتَةُ تَذْيِيلِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

التَّصْرِيحُ
بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ
لظُهُورِ الدَّلَائِلِ
وَقِيَامِ الْحُجَّةِ
عَلَيْهِمْ

لَمَّا كَانَتِ الْقُلُوبُ قَدْ فُرِّغَتْ بِمَا أَلْقَى مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الْمُعْجَبِ لِلْحُجَّةِ، وَتَهَيَّأتَ لِقَبُولِ الْحَقِّ؛ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

(1) الألويسي، روح المعاني: 4/191.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/323.

تُشْرِكُونَ أي: من هذا وغيره من باب هو الأولى، فصرّح بالمقصود؛ لأنه لم يبق في المحسوس من العالم العلوي كوكب أكبر من الشمس ولا أنور⁽¹⁾.

فهو إقتاع لهم بالألحاظوا تحصيل موافقته إياهم على ضلالهم؛ لأنه لما انتفى استحقاق الإلهية عن أعظم الكواكب التي عبدوها، فقد انتفى عمّا دونها بالأحرى⁽²⁾.

ولذلك ترقى في المشهد الثالث إلى التصريح بالبراءة منهم، والتّقرّيع بأنّهم على شرك، حين أقام الحجّة عليهم، بوضوح الحق، وبلوغه من الظهور غاية المقصود⁽³⁾.

سرّ العدول عن ذكر عبادتهم للأصنام إلى الشرك:

عدل عن ذكر عبادتهم للأصنام إلى وصمهم بالشرك في قوله **﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**، لذمهم وتقرّيعهم على شركهم، وفيه إشارة إلى علّة البراءة منهم.

سرّ اختلاف مَقُول القول بعد الأقول في الآيات السابقة:

النّاظر في هذه المحاورة يجدُ تغيّر مَقُول القول؛ ففي المشهد الأوّل قال: **﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾**، ومع القمر قال: **﴿لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾**، ومع الشمس قال: **﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**.

والماتمل في هذه الأقوال الثلاثة يجدُ أنّها بُنيت على مجازاة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه في إبطال مزاعمهم في الكواكب، فكان كلُّ مَقُول مناسباً في محلّه؛ ففي الأولى: **﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾**، وهذا من باب التلميح، وليس من باب التصريح، وأمّا مع القمر

الإشارة
إلى ذمهم
وتقرّيعهم على
شركهم، وإلى
علّة البراءة
منهم

التدرّج في الحوار
بما يناسب المقام
والحال

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/161.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/322.

(3) ابن النّبَر، الانتصاف: 2/40.

الذي كان حجمُ ضوئِهِ أَكْثَرَ مِنْ الكوكَبِ، كانَ مَقُولُ إبراهيمَ ﷺ يَقْرُبُ إِلَى التَّصْرِيحِ مِنْهُ إِلَى التَّلْمِيحِ بِأَنَّهُمْ فِي الضَّلَالِ، أَمَّا مَعَ الشَّمْسِ؛ فَكَانَ قَوْلُهُ مُنَاسِبًا لِحَجْمِ الشَّمْسِ ذَاتًا وَصِفَةً فِي الْإِنْتِقَالِ مِنَ التَّلْمِيحِ وَالتَّصْرِيحِ إِلَى الْإِعْلَانِ الظَّاهِرِ وَالْوَاضِحِ بِشِرْكِهِمْ؛ كظُهُورِ الشَّمْسِ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 11، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-63-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 11: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-798-63-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»